محمد الزنتاني

نوافذ مشرعة

«نصوص»

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

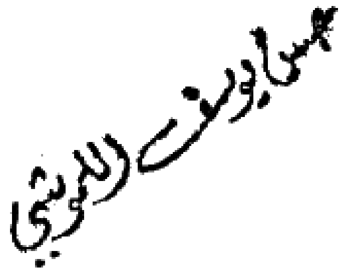
نوافذ مشرعة
على سيرة الأمس

محمد الزنتاني

نوافذ مشرعة على سيرة الأمس

«نصوص»

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE



نوافذ مشرعة

على سيرة الأمس

محمد الزنتاني

الطبعة الأولى: 2020 م

رقم الإيداع المحلي: 2020/392

رقم الإيداع الدولي: 978-9959-921-70-3

دار الكتب الوطنية بنغازي - ليبيا

هاتف: 7165022.21821+ - بريد مصور 4843580-21821+

ص.ب: 75454 - طرابلس Email: almosgb@yahoo.com

إهداء

إلى رفيق المحنة القاسي
و درب الآلام الطويل
اللذان عبرناهما معا ، في صمت و تبصّر
إلى الناقد الأدبي و السينمائي
الأستاذ : **رمضان سليم**

نصوص من سبعينيّات القرن الماضي

●●●

زمن المكابدات العظيمة ،

و جيل القامات التي لم تنحن !

حسن يوسف الدويشي

بوح

..

و في لحظة ما ،

قد يعنّ لك أن تشرع النوافذ على سيرة الأمس ،

و لا تتركها مقفلة إلى الأبد ،

في لحظة ما ،

قد تشجّعك أعماقك ، تدفع بك و تقول لك :

– افعلها ،

افعلها ، و لا تتردّد !

» دعوها تمر

يا أيها الحالمون ،

. . دعوا هذي البلاد تمر ،

. . دعوها تعبر الطريق !

....

دعوها تضم القرنفل يوما ، و تقطف بعض من الأمنيات ،

دعوها تمارس ألعابها ،

دعوها تسابق سرب الطيور ، و تجري و تقفز فوق الهضاب ،

دعوها لنجم يطل قريبا ، و يعبث في نزق بالسحاب ،

. .

دعوها تغني لأطفالها ، و تحكي لهم عن جمال الحديقة ،

دعوها تشذب أشجارها ، و تقطف ريحانة أو يزيد ،

دعوها ، لعل البيوت الكئيبة ، يوما سترشقها بالشذى ،

دعوها ،

دعوها تمر لصبح الندى و طلّت شمس ،

ستنعش روح الزمان ، و تغمره بالضياء البهيج !

بهجة و انسراح

الرمل ،
أمواج تكابد حيرتي ،
و تقودني دوما إلى الأعماق !

*

و الريح ،
أغنية تصد مواجعي ،
و تحيلني نهرا من الأشواق !

*

و الليل ،
هذا الليل ، يا لبراحه ،
وعد ليوم زاخر ، تهفوا له الآفاق !

*

فالرمل، حقل من خيال ،
و الريح ، وعد لا يطال ،
و الليل ،
ذاك الليل ،
شارد ، لا يرعوي !

أقواس

قوس الإيماء

سرب القطا ،
يمضي ،
يا وحدتي ،
وحدي ،
وقع الخطى ،
يأتي ،
من لهفة الوجد ،
. .
يفضي إلى بعضي ،
يا لوعتي منّي !

قوس الأسرار الدفينة

تلوّح الأيادي ،
مخضبة بالحنين ،
العيون الكئيبة ،
مرهقة بالفراق الحزين ،
السماء تطل ،
ملبّدة بالغيوم العليلة ،
و الروح في لهفة ،
تسأل عمّا يلوح بعيدا ،
و لا يقترب ،
و عن سر هذا الحوار / الأنين ،
لكن ، تمهّل قليلا ،
سينبئك الليل ،
و هو يغادر في عجل :
– أجل ،ذات يوم قريب ،
سينكشف السر ،
سر هذا العذاب المهين ،
و صمت العيون الكئيبة ،
سيعقبه الانفجار الدفين !

قوس اليقين

عذّبتني القرى ،

شاكستني المدن ،

يا نبي القرى ،

يا إله المدن ،

أي جمر يلحّ على الريح ،

أن تقترب ،

أي نار ترى ،

تشتعل في المحن ،

..

إن في قلبها ،نبضات الزمان ،

إن في روحها ، سر هذا الشجن!

»» قوس الزمن و الجراح

يأتي زمانك ،

بغتة ،

و يطوي ما تداريه ،

وجرحك ،

جرحٌ ،

سادر في الغي ،

لا أحدٌ يعانيه ،

فالليل منتهكٌ ،

والوهم ،

يكفيه !

. .

الليل منتهكٌ ،

والوهم ،

يكفيه !

قوس الشجن

تلك الهضاب ،

بعيدةٌ ،

أسعى إلى أطرافها ،

عَجِلٌ ،

ليلٌ تعرّى ،

بهجةٌ ،

ونهرٌ من هوى ،

يصلُ ،

ماذا أداري ،

خاطراً ،

أم نجمةً ، في الأفق ،

ترتحلُ !

. .

ما للهوى ، وجلُ ،

ما للهوى ، وجلُ ؟!

اعترافات آنيّة

اعتراف النار

❊

هي النار ،

تضطرم الآن ،

في جذوة ،

ترقص مفتونة بالمواقد ،

و مذهولة من صفير الرياح ،

و بعض الغيوم الغواني !

« اعتراف القلب

*

هو اللهفة الجارفة ،
و انتعاش المساءات ،
هو القلب ،
نافورة من سراب ،
يشرع أبوابه ،
مبتهجا بهدير المعاني !

اعتراف العين

» »

❉

هي العين ،

بالحزن دامعة ،

وباللحن ،

ينهمر الآن ،

منسكبا ،

في ثنايا الأغاني !

» اعتراف الليل

❋

هو الليل ،

أرجوحة في الجوار ،

يسرد الآن ،

للساهرين الحكايا،

و يغفوا ،

على ما تبوح به من أماني !

اعتراف الخاطر

❋

هو الخاطر ،المخملي ،

البهيج ،

و العابر ،الحائر ،

المتجلي ،

..

هو الوعد ،

مندلقا في براري الزمان !

»« اعتراف الوصول إلى برزخ الجنون

*

لقد أيقنت ،

من بعد التروّي ،

أن سر الوجد ،

جزء من مقاديري ،

و أن الخطو ،

إيقاعي ،

و أن اللّيلك المجنون ،

من بعض تدابيري !

منارات تشع من بعيد

تجلّي

*

النهر ،

في أعماقنا ،

نهر ،

وفي ترحالنا ،

دهر ،

وبين النهر و الترحال ،

في الأعماق ،

يكمن ،

سر من عبروا ،

وسر الصمت و الجهر !

»» صراخ صامت

*

النار ،

تلهب الآفاق ،

يسكنها الجنون ،

تلهو بآخر الرغبات ،

تصرخ عاليا ،

تنثر عطاياها ،

و ترقص في تخوم اللون !

الليل و الصهيل

*

تعثرت الخيل ،

و هي تخب و يعلوا الصهيل ،

والليل ،

هذا الليل حالك ،

الشوق يحتدم الآن ،

والوجد ،

والانتشاء !

هذي الأرض

*

هذي الأرض في دورانها ،

مفتونة بالنور ،

ترقص ،

ترتدي ثوب النهارات السعيدة ،

. .

و هذي الأرض جذلى ،

تضبط الإيقاع ،

تنتشي باللحن ،يأسرها الغناء ،

مسكونة بالوجد ،

تمضي ،

. .

و هذي الأرض . . !

وعد، لا يخيب

❁

قمم الجبال ،

تلوح شامخة ،

على مدى الأفق البعيد ،

وعدا ،

لشمس سوف تشرق من جديد !

« مواعيد قادمة

*

لكل بلاد مواعيدها ،

و هاذي البلاد ،

مواعيدها ستجيء ،

فانثري الفل و الياسمين ،

لا تأسري الأغنيات ،

و اطلقي ،

نغمات الحنين !

الوصايا

وصية المواعيد

*

تأنّ ،

ولا تندفع ،

فوقتك لم يحن بعد ،

إنه يقترب ،

و أنت على موعد للشروق البهيج !

›› وصية التمهّل

*

تمهّل ،

وداري ما أنت فيه ،

لا تتعجّل ،

ودع ما يمور بأعماق قلبك ،

يركض ،

يركض ،

منسرحا في البراري الجميلة !

وصية اللهب

❊

ترجّل ،

فدوامة الليل هادئة ،

وبعض من اللهب ،

لا زال مندغما ، في ركام الرماد !

»» وصية النجوم

*

تقبّل ،

ما رصدته النجوم ،

فالشوق بوابة لعبور المسافات ،

و الشوق مرتهن للجنون البهي ،

و مرتهن لخفايا الدروب البعيدة !

وصية الضياء

*

تجهّز ،

لعلّ ضياء البراحات ،

ينبعث الآن ،

فالمساءات رائقة ،

وبعض من الغيم ،

غادر محنته ،

وليل الكآبة ،

مرتهن لشعاع يضيء !

«« وصية الأماني

*

تذكّر ما قد تبوح به المسافات ،

العروق نافرة ،

والصراخ أنين ،

ونافورة الدم ، تكتنز الفيض ،

..

لعل الأماني ،

هي الآن ،

صاعدة ،

لعل الأماني الجليلة ،

بوابة لبهاء الزمان !

وصية الوصايا

*

لا ترتهن أبدا لآثار المواجع ،

وانتبه ،

لا ينحني جذع تسامق ظله ،

..

هذا الذي أدرى ،

و تلك وصيتي ،

فالكائنات في الدغل المجاور ،

تقذف بالسؤال :

– ألا ترى الإيماء ، يبرق من بعيد ؟!

» قصيدة همّان

« يا لتلك السنون الكئيبة «

همّان ،

يقتسمان قسوة الأيام ،

ترتعش الرموش و تمطر الأحداق ،

و المدى ترنيمة خجلى ،

و همس موجع عبر الظلال ،

و فوق كثبان الرمال ،

و الحلم النبيل يناوش خاطري ،

و لا من يستجيب ،

. .

همّان ،

يخترقان في روحي ،

أنين لا يكف عن النداء ،

ينغرزان في أفق تبلّد ،

من صرير خافت في القاع ،

أو هما وهن يداري خيبة الآفاق ،

و النهارات البعيدة لا تجيء ،

. .

همّان ،

مرتقبان ،

يقتسمان قسوة الأيام ،

يا زمنا يجافيني ،

و يا إطلالة الليل الكئيبة ،

. .

همّان ،

يا ريح تهب على المدى ،

عطشى ،

و يا شوق دفين قد تبدد في العراء ،

. .

همّان ،

أه ،

يا لوداعة الأحلام ،

و يا لتفتح الأكمام ،

في ترنيمة لا تهتدي لنبض القلب و الأوجاع ،

. .

همان ،

لا لحن لنا ،

و لا معزوفة في الغاب ،

تخطف لوعتي ،

و تزيح عني ما تراكم من غبار الأزمنة ،

..

همان ،

لا زالا يقيمان العزاء ،

على رحيل غادر ،

للمدى و الأمنيات ،

..

همّان ،

يكتئبان من وجل و من كدر ،

و من نغم حزين ،

و طائر الخطاف ،

لا ينأى يحلّق في الفضاء ،

..

همّان ،

أو وهن على وهن ،

و شيء من حكايا الليل ،

..

همان ،

في لون العيون المرهقة ،

يخترقان غفو مشاعري ،

..

همان ،

قد يردعهما ،

برق سريع خاطف ،

لا يقترب أبدا ،

. .

همّان ،

مفجوعان ،

ينغرزان في قلبي ،

بعض من شرود الغيم و الأزمان ،

. .

همان ،

قافلة تجر الليل و الأثقال ،

و أخرى ،

تحمل الأوجاع ،

يا تعب المسافات الطويلة ،

. .

همان ،

كيف الليل لا ينزاح ،

من تعب ومن وهن ،

و من إطلالة الزنبق و الليلك ،

في الفجر الملبّد بالغيوم ،

..

همّان ،

يا قلبي ،

و تلك مخاوفي ،

..

همان ،

غزارة الأوجاع بين جوانحي ،

و قتامة الليل الطويل ،

..

أجل همان ،

بعض من نزيف الجرح ،

و بعض من ذبول الياسمين !

سيرة النوافذ

نافذة عن غفوات الرمل و مواجعه

تسيل المآقي ،
متعبة ،
و ينهر الدمع ،
كالسيل في غفلة من نشيج ،
و المدى كلّه ،
المدى كلّه متخم بالعويل ،
فليل الصحارى طويل ،
طويل ،
و بعض من الرمل ،
في غفوة ،يلذعنا بالمواجع ،
يلسع أوهامنا ،
و يسري حثيثا ،
عبر الدروب الطويلة ،
وغيم المساءات أيضا ،
يعتريه الكدر ،
و يقبل منتشرا ،نحونا ،
لا يداري الفجيعة !
. .
تسيل المآقي ،
تسيل . . !

» نافذة البرق و الريح

أنظر إلى تلك الجبال الباهرة ،
برق تشظّى من هناك ،
قمر يبعثر ضوءه ،
نجم يفيض على المكان ،
نور و ذرّات
و وهج لامع يجتاح كثبان الرمال ،
..
نظر الرفيق إلّي في وجل ،
ارتقى الربوة مصعوقا ،
و صوته كالرعد هادر :
– أحقا ما أراه الآن ،
..
ارتقى الربوة مفجوعا و قال :
– التباريح العفية أرهقتني ،
و هاذي بعض من أحاجي الرمل ،
تأسرني ،
و تقذفني إلى هذا الحلم الطويل .
..

و أشار للأفق البعيد ،
جاء الغيم و انسرح النهار ،
ريح تأن الآن ،
محصورة ﰲ زوايا الظلام ،
و غيم يذرف الدمع الغزير ،
توقف صاحبي ،
ألقى عصا الترحال ،
منهوك القوى ،
و أشار ناحيتي و قال :
– لقد صرعوك أيها المفتون بالأفق البعيد ،
لقد صرعوك على غفلة من نحيب الزمان ،
لقد صرعوك ،
و الأوجاع يأسرها الذعر و الخوف و الانكفاء ،
الأوجاع تلقي ظلّها ،
و تغيب ﰲ هذا البراح !

« نافذة عن الارتياب

في لحظة من زمان كئيب ،
فاجئني من وراء السراب البعيد ،
و كنت في غفلة شاردة ،
فنثرت في الأجواء بعض الارتياب ،
تساءلت في حيرة ،
و بلا رغبة في انتظار الجواب :
– كيف الحال و الأحوال ، و الجدات و الأجداد ، و الأبناء و الأحفاد ،
كيف الرمل و الوديان ، و الإبل الشريدة و السحالي و الغزالات الرشيقة ،
كيف الزعتر ، النعناع ، و الزيتون ،
كيف القرى ، الواحات ، و المدن التعيسة ،
كيف المدى ،
جاء الصدى ، متعثرا ، متناثرا ،
جاء الصدى ، لفح هجير صاعق ، أو بعض تهلكة ،
نور توارى ، و ليل قادم لا يرعوي ،
يمتد في الآفاق ،
أو يطوي صحارى القلب ،
و لا من يستجيب !

نافذة الأنين المهيب

و في المساءات الكئيبة ،
أنسل في صمت إلى ما أشتهي ،
فيفيض بي نهر من الأحزان !
. .
و في تلك المساءات الجريحة ،
أعلن للصمت المكابر :
– آواه يا زمنا يجرجرني ،
و يا عمرا يعاتبني ،
و يتوه عنّي ،
و آه من صراخ لا يكف عن النداء ،
من دمع تفجّر في المآقي ،
و من وجع تأن به الجبال !

« نافذة عن الدروب الطويلة

قابلني في ثنايا الطريق ،
قامته تستظل السحاب ،
نظرته بانتشار البروق ،
. .
و على غفلة من مساء عليل ،
بادرته بالسؤال :
– إلى أين ، يا أيها الرجل الملثم بالخرافة ،
إلى أين ، و الطرق الأليفة أقفرت ،
و تيبست أشجارها ،
و تبددت أسرارها ،
و امتد في أجنابها صوت العويل ؟!
فأجابني متألما ،
ليجلو حيرتي و يصيبني من بعد حين :
– لله درّك يا هذا الفتى ،
إني على درب أصارع خطوتي ،
و أسير مضموما إلى بعضي ،
فهذا الدرب يمتد و يمتد ،
و لا من يستجيب !

نافذة عن الرؤية

تتطاول الهامات في ذاك البراح ،
و يشتعل المدى في لوعة ،
أو ترتمي الآهات في نهر الفواجع ،
. .
إني أرى ،
فيما أرى ،
حينا ،
جبال من ركام ،
تحاصرني و تفشي لهفتي للريح ،
و أحيانا تواسيني ،
فتلسعني الرغائب في اقتراف البوح !
. .
فآه يا فؤادي من وجع المساءات ،
و من نحيب الأضرحة !
إنني الآن في حيرة و ارتباك ،
أكابد في لوعة ،
أتحرّق شوقا لما قد يكون وراء الجبال ،
تذكّرت ما قال يوما ،

« نافذة عن المجرّات البعيدة

تتجاسر الأنواء و هي تلوح في الدرب المجاور ،
ضوء خافت ينساب في عري المسافات ،
و بعض من أماني ،
أرهقتني ،
بانتظار القادمين ،
..
والمجرّات البعيدة تتكئ حينا على أشواقها ،
و لا تزال حتى الآن ،
تقتفي أثر المجرّات البعيدة ،
..
إن المجرّات البعيدة ،
دائما مفتونة بالوهم ،
تقتفي أثر المجرّات البعيدة !

» نافذة عن الأفق المتباعد

تذكّرت ما قال ذات لقاء ،
تذكّرت ما قال عند انعكاس الضياء على وجنتيه ،
– هذا ضياء عفي سيغمر هذه البلاد ،
و هاذي بلاد ستغرق في العشق .

. .

فتلكّأت ريح الشمال ،
تلكّأت ، و هزّني وجع ،
مضى يناوش خاطري ،
و قلت في الأثناء مداريا حزني :
– رفقا بنفسك ،
لا تشير إلى المدى ،
فما تراه يذرع الأفق البعيد،
هو بعض تهلكة ، فيما أرى ،
و ليس شيئا من يقين !

» نافذة التمنّي

محزونا و مهموما ،

مضيت أذرع الطرقات وحدي ،

في العشيّات الملولة،

مضيت مفجوعا و ملسوعا بكل الأمنيات الغائبة ،

علّ بعض الخطو ،

يحملني على ظهر الظنون ،

علّ بعض التوق ،

يدفعني سريعا لاحتضان الخاطر المفتون ،

. .

أو قل هكذا :

– علّ بعض الوهم ،

ينثرني رذاذا ،

في طريق العوسج الملعون !

ها هنا ،

ذات يوم تمادت به الشطحات ،

و سيل الحكايا تدفّق في وله لا يجارى ،

ينثر قدامه الذكريات .

وكنت أنت ،

نافذة عن الظلال و مناوشاتها

قد يزعم الساهرون الحيارى ،
أن المجرات سادرة في الغواية
و أن النجوم تسير إلى مرفأ في السديم البعيد ،
و أن الكواكب ترقد مهجورة في الفضاء ،
و هذا المساء الكئيب ،
يغادر مضجعه صوب نهر المتاهات
..
و في ذلك العالم المخملي المخادع ،
تناوشني الظلال على المدى ،
و نظل نحن ،
نقتفي ببعض الصبر آثار المواجع !

« نافذة عن النار و رقص الفراشات

أجل ، كنت أنت ،
على بعد أرجوحة أو يزيد !
هكذا أخبرتك السنون ،
سيلتحم العابر في ألفة بالطريق ،
و سيأخذه النور ،يأسره الانتشاء ،
ورقص الفراشات ،دوما ،
في بؤرة الضوء من حوله ،
رقص الفراشات أنشودة لا تدوم ،
لكن شوق السنين الحنونة إلى لملمة ما تبعثر ،
لم يزل يوقد النار ،
و النار تعلو ..
و تعلو ..
النار ، تعلو ..و تعلو !

» نافذة عن انثناء الظل و تمرّده

و انثنى ظل ، تمرّد ، صاح :

– قل لي أين أنت أيها السادر في التيه ؟!

و دون أن يأتي جواب ، لملم الأطراف في وجل و قال :

– قل لي أيها العالق في بحر السراب ،

هل يؤب الليل ، أم يأتي النهار ؟!

..

لم ينتظر ردا ،

تسربل في هدوء ماكر ،

و كالعادة ،

لفه الصمت وغاب ،

..

تلكأت في حيرة من غياب الجواب ،

أطرقت منهمكا إلى نفسي ،

رنوت إلى المدى ،

لململت أطراف العباءة و احتضنت ما تبقى من وصايا ،

إنها قلب الرفيق ،

إنها خبز الطريق !

..

عاد ،

كما السر يهرب من لفحات النهار ،

جاورني في الوقوف ،

تأملني مرة بالحنين أو مرة بالعتاب ،

لكنه لم يبح بالجواب ،

تجاوزني ،

ثم دار و غاب !

» نافذة عن الوعد و قسوة المكابدات

أي وعد ،
عابث ،
في هاذي الدروب ،
لم يزل يتبعني ،
لم يزل يقهرني ،
لم يزل يدفعني ،
في طريق لا يلوح في الأفق ،
مداه ،
أي وعد ،
لا يداري ما تبقّى من لهاث مرهق ،
أو يمنّيني ببرق لامع ،
أو بنور ، قد يلوح من بعيد ،
في هاذي المتاهات السحيقة ،
. .
أين أنت ،
أيها الوعد المعاند ،
لا بشرى تلوح الآن ،
وَ لا أضواء تومئ من بعيد !

» نافذة عن تلك الإشارة

تلك الإشارة ،

أيها المسكون بالإيقاع !

..

انكسار الصمت ،

كائنات الغاب ،

هسهست الندى ،

وهوهات الظل و الأطياف ،

و بعض من أنين الروح ،

..

تراءت له نجمة من بعيد ،

تضيء المسافات ،

أو تراقص شوق العيون و لوعتها ،

..

أتراها دروب تمادت في غيّها ،

و ها أنني ها هنا ،

احتمى بالدجى ،

أم أنني هالك في دروب اليقين ؟!

›› نافذة عن الغياب و الوداع الحزين

تذّكرت ما قال عند الوداع الحزين ،

و الدمع ،

نهر دافق في المقلتين :

– إن الطريق طويلة ،

إن الطريق . . !

. .

تذّكرت ما قال عند الغياب ،

و عند انكسار الحنين على كتفيه :

– لا تقتفي أثر النجوم اللامعة ،

لا ،

لا ،

لا تقتفي أبدا !

« نافذة عن التذّكر و البراحات السادرة

حاولت التذكّر ،

غابت الأطياف عنّي ،

يا هذا الذي يمضي بلا وجل إلى ميعاده !

..

لست أدري ،

حاولت التذكّر بعض من ملامحه ،

و من بريق البوح في عينيه ،

صدني وجع و أرق و انبهار ،

و شيء كالأسى يعاندني و يصرخ داخلي :

– هذا براح سادر ،

هذا براح سادر ، لا ينتهي !

..

لا زلت أذكر شوقه للبوح :

– أيا هذا الذي أنت ،

يا أيها الطيف الهلامي المحيّر ،

يا أيها الشارد ،

لطفا بالمساءات الحزينة ،

فأنا الآن أرى ضوء يناوش خاطري ،

فقل لي ،

لما تتكرنا بلاد التيه و نحن لا نزال نعشقها ،

و كيف الصحو منها ،

أو من هذه الغفوة العنيدة الماكرة ،

›› نافذة عن ما قاله الرفيق

قال محتدا ،

رفيقي ،

و المدى يشتعل بالغيوم :

– ألا تسترق السمع ،

يا أيها المسكون بالأوجاع و الريح المغامر ،

هل جاوزتك المسافات ،

و هل وصلتك الإشارات ،

أم أنّك الآن منزويا في الزوايا ؟!

..

و على مسمع من نداء الخيالات ،

غفوت قليلا إلى خاطري ،

فأفضى إليّا رفيقي هامسا :

– و ها أنت ذا تستمع يا رفيق المساءات إلى ما يقال ،

فتمهّل قليلا ،

إذ سيظل هذا العويل وقودا للنار و الأزمنة .

نافذة عمّا أراده الخيال الجموح

يلتحف الظل بالأمسيات الطويلة ،

يتكأ الآن في وجل ،

يلملم أطرافه الواهنة ،

فيرتبك الوقت في لحظة الهمس ،

بين النجوم و ضوء القمر ،

هكذا أنت ،

ينتابك الشرود المباغت ،

في لحظة الصحو ،

فكيف يعن لك أن ترى الآن ما لا يرى ؟!

..

و ما كنت تعرف ،

غير الذي أعرف الآن !

..

هكذا أنت ، لا تبالي ،

و تقول ما لا يقال ،

و تنثر أوهامك في الجوار ،

هكذا أنت حقا ،

أو هكذا ما أراد الخيال الجموح !

« نافذة الاحتشاد الحميم

علّه الغيم المكابر ،
يعتلي الربوات ،
مفتونا بإيقاع الرذاذ ، على سطح السكون ،
يجرّني للبوح و الإبهام حينا ،
يجاورني أو يدفع بي ،
فعلى مقربة من صهيل الجياد ،
على مقربة من شرود الصحارى ،
يتمدّد الوهم النبيل ،
يجاورني ، يجتازني ، و ينجلي بوحا بهي :
– الإبل ، الرعاة ، الماء ، والوديان ،
الندى ، والبرق ،
الساهرون ، سمّار الليالي ،
انشراح الروح ،
و انهمار الماء في الوديان ،
أو علّه وهني وخوفي ،
و البراحات البعيدة ، تقترب ،
و تعيد رسم الليل و الأحلام !

نافذة الوصايا

هذا الليل ولّى ،

و الشمس في هذا النهار ،

ترسل دفأها للراحلين ،

فقم يا صاحبي ،

لا تتكئ إلا على خفقان قلبك ،

فلقد عزمت على سفر ،

بلا زاد يرافقني ،

بلا ميعاد يشعل الأنوار ،

يؤنس وحدتي و يمنحني حنين دافئ ،

و يجلوا عن عيوني قتامة الآفاق ،

و ما تلبّد من غيوم ،

و يبعد عني لوعة الفقدان أو كدر المساءات الحزينة !

..

أجل يا صاحبي ،

لا تتكئ أبدا ..

إلا على خفقان قلبك !

» نافذة عن الرفقة

كنا معا ،

ترافقنا ،

تصاحبنا الدفوف إلى ضياء في العراء ،

همس النخيل إلى النخيل ،

و طائر الخطاف ،

كالعادة يلثم الآفاق في نزق ،

و بعض من هدير الذاكرة ،

يجتاحني ،كالريح تصرخ في الفضاء ،

كانحدار الماء في الوديان ،

و شيء ما ،

شيء ما يحيّرني ،

و شيء ما يهمس لي ،

. .

كنا معا ،

ترافقنا ،

تصاحبنا الدفوف إلى ضياء في العراء ،

الصبايا ، و الجرار على أكتافهن ، و الضجيج المر ، و الفرح المكابر ، و السحالي ، و الأرانب ، و الغزالات الرشيقة ،

. .

كنا معا ،

ترافقنا ،

تصاحبنا الدفوف إلى ضياء في العراء ،

فتلعثمت كلماتنا ، و تراكضت أشواقنا ، و ترقرقت أحداقنا بالدمع ، و ازداد شوق الروح للميعاد ،

لكن المدى كالوعد ، ظل في شوق يخاصرني ،

و إيغال حميم سادر ، لا ينتهي ،

و الأفق البهيج هناك ، يراود دمعة أو شهقتين !

« نافذة عن النار البعيدة

تعثرت الخيل والليل حالك ،
و الشوق يحتدم الآن ،
و الوجد ،
و الانتشاء .
. .
اقترب ،
فالريح يمضي ساهما ،
و القلب مفتون بنبض الدرب و الأنواء ،
و شيء من لظى الصبوات ،
يذكي جذوة الأشواق للنار البعيدة .
اقترب ،
فالكون يوغل في السكون ،
و استرق السمع ،
إنها النار البعيدة تختفي خلف الهضاب ،
تحتفي بالليل ،
ترتقي الربوات أو تخلع قناع الزيف ،
ترقص في تخوم اللون و الايقاع ،
و تشرع في الغناء !

نافذة عن هذا الليل

هذا الليل ،

منديل يرف على المدى ،

و جرح غائر لا يندمل ،

. .

و هذا الليل ،

بوح شارد ،

و صمت لا يكف عن النحيب ،

بعض من حنين حارق ،

و بعض من غياب ،

. .

هذا الليل ،

قنديل يداعب ما تراءى من خيال ،

و وهم سادر في غيّه ،

و بعض من ضباب ،

. .

نغم حزين ،

ينسكب عبر الدروب ،

و طيف لاح مبتعدا ،

تواری کالسراب ،

. .

سيضل هذا الليل منثورا ،

كوعد ضائع ،

و مسكونا بأوجاع المساءات الجريحة ،

. .

و هذا الليل ،

. . هذا الليل !

نافذة البوح و الترحال

ترجلت عن صهوة النار ،

أطرقت في حيرة ،

و موج السراب يخاصرني أو يراقص جنية لا ترى ،

فهل أنا الآن أهذي ،

إذا ما قلت في وجل ، أو أنا سائلتها :

— متى غادرتنا ،

يا هاذي التي تأسر في أعماقها الإعصار و الموج المدمّر ،

كيف الوصول إلى ظلالك في هذا النواح المستديم ؟!

..

ربما همست كطيف شارد ببعض القول :

— يا لبعد المسافات و الأمكنة ،

يا لهذا المدى الراحل الآن ،

نحو المجرات و الأزمنة .

..

فأجابني وهم ،

و قنديل على الأطراف ينثر وهجه :

— لقد حامت على كتف المساء ،

هنيهة ،

أو رفرفت و تباعدت من بعد حين .

..

و هذا الليل يهفو للنهارات البعيدة ،

هذا الليل يجرح خاطري ،

فهل قالت تواعدني و تنثر ما تبقى من ندى :

— اركب جناح الشوق ،

يا هذا الفتى الموعود بالترحال .

فالنهارات البعيدة ،

ريحنا ،

و الليل مسكون بأقواس النهارات البعيدة ،

هذا الليل ،

مسكون بأقواس النهارات البعيدة !

» نافذة عن الأوهام

تجري السحالي على مشارف الكثبان ،
ترسم اللوحات فوق الرمل ،
و الريح من على قمم الجبال ،
تنشد بعض من لحون الشوق ،
..
بعض من الأوهام تلذعنا بوخزتها ،
و نحن نضرب في الخلاء ،
و لا نبالي ،
نقتفي أثر المواجع ،
في المساءات الكئيبة ،
كالفراشات التي تبحث عن ضوء ،
و عن أثر يدل على بدء النهارات البهيجة !
..
حد المسافة في استواء الكون ،
واكتمال الطيف إيماء ،
و نحن نرتقي الربوات
نرقب من هناك ،
ما يدور على الضفاف !

» نافذة الرمال الواعدة

القوافل مفتونة بالرمال ،

و الجمال ،

تطاول أعناقها ،

و تناوش أفق السماء ،

و الدبيب الرتيب يحاور وجه التراب ،

يحاكي السراب ،

و بعض من رذاذ الغيم ،

يرنو للأفق البعيد و ينشد بانتشاء ،

. .

تلك الأماني الشاردة ،

تلك الرمال الواعدة !

نافذة عن الرحيل و الوصول

..

عند الرحيل ،

تعلّقت عيناي بالآفاق ،

و رنوت في لهف خفي ،

صوب رهافة الأحلام ،

صوب العراجين المدلاّة و رقصة الكثبان ،

صوب الرمال الليّنة ،

و تساءلت خفقات قلبي :

كيف الصبايا ، و الوعد مغلول ،

كيف الشباب الغض ، مصلوب على الطرقات ،

كيف الليالي و السهر و السهد ، و الأرق المسجى في حزام الذاكرة ،

كيف انكسارات القلوب ، و تحديق العيون المرهقة ،

كيف البراري والقفار ،

كيف الزمان المرُّ ،

يقهرنا ،

و يخدعنا ،

و يغدر كالسراب !

. .

عند الوصول ،

و على مشارف ليلة الأحلام ،

كان مجلسنا قبالة الإبل الأليفة ،

نمازح الكثبان ،

نعبث بالنجوم ،

و الرمال الليّنة تمتد في لهف ،

و ترقص ،

. .

و الرمال الليّنة . . !

نافذة للشوق

هو الشوق ،
حقا يأتي إلينا ،
يلملم جرح المساءات و الأزمنة ،
و يكفكف دمع العيون الكئيبة ،
فلما لا نغنّي معا ،
ها هنا ،
في سياق حميم ،
. .
مبهج هو الغد أو مترع بالعطايا ،
و شمس حميمة تطل علينا ،
و توعدنا باللقاء البهيج ،
. .
فهل قلت شيئا ؟!
أم أنه الوهم ،
ينثر بعض الأماني ،
و يفتح بوابة من خيال خصيب !

» نافذة الطموحات

قالت تخاطبني في حيرة أو بعض شك :

– هل يسكن السر الكبير على رفيف الأجنحة ،

أم أن إيقاع مديد ، نافر ، متحفز ،

ينثال هذا الوقت ،

في البحر السديمي المكابر ؟!

..

فأجبتها متلفعا بالشوق أو بالوجد ،

لا أدري ،

و النبض إيقاع يعاندني :

– هو ساعة موقوتة للموعد المسكون بالغزلان ،

إيماءة للنجم ،

يسرد ما تيسر من حكايا ،

و أرجوحة ،

لا تكف عن البوح في هاذي العشيّات البهيّة !

نافذة عمّا جادت به الأرض

تتوتّر اللحظات ،

تلمع في خبايا الذاكرة ،

تناهى صوت الرعد ،

و البرق المخادع يحتفي بالكائنات ،

و على وعدها لاجتياح الضفاف ،

تخب السيول على مقربة ،

و هي تهدر في انفعال ،

و الأسى ،

نهر من الأحزان ،

يندلق الآن في صحوة ،

و يجرف كل شيء ،

و على مدى الأيام و الزمن المكابر ،

عاد الهدوء و جادت الأرض بما شاءت ،

و نحن ننتظر أو قد نجادل ،

و كانت تلك ساعة للارتقاء ،

أو قل ،

كانت تلك ،

ساعة للاعتراف !

» نافذة عن الليل المتطاول

رفيقي ،

انحنى نحوي و قال :

– تطاول الليل بنا .

فأجبته :

– يا رفيق الليل ، لا بد أن يأتي النهار .

..

قال محتدا :

– هل تسمع الأصداء ؟

فأجبته بروية :

– آت من الإنشاد .. أو صوت الجماعة .

احتار من ولهي ، و قال مرددا :

– صوت الجماعة ؟!

قلت مبهورا ومفتونا بما قد يستجد :

– انه صوت الجماعة ، لا محالة قادم !

..

– صوت الجماعة ؟!

فنظرت في أحداقه و أجبته :

– هذا يقيني يا رفيق ، انه صوت الجماعة لا محالة قادم .

فتراقصت أهداب عينيه و قال مشككا :

– هل ترى في الأفق ما ينبئ بذلك ؟

قلت مزهوّا و فيما يشبه الحلم الجميل:

– كل شيء ، كل شيء يا رفيق ، يلهج الآن بأصداء الجماعة !

..

أدمعت عيناه ،

و كادت العتمات أن تبكي ،

و ردّد بانبهار :

– كل شيء ، يلهج الآن بأصداء الجماعة !

« نافذة عن الرايات، و الصراخ في الوديان

همت في الوديان ،أصرخ :

– يا الهي ، إنها الرايات تخفق من بعيد ،

همت في الوديان ، أصرخ :

– المخاضات الكثيرة علمتني ،

أن ما سوف يجيء ،

لن يجيء ،

قبل أن تسقط رايات كثيرة ،

قبل أن يسيل الدم في وادي الجنون ،

همت في الوديان ، أصرخ :

– أبشروا ،

إنه صوت الرعود و البروق الشاردة ،

رقصة الميلاد ،

ينثرها السنونو في الفضاء ،

حيرة طائر الخطاف ،

و هو يسبح في انثناءات السحاب ،

همت في الوديان ، أصرخ :

– أبشروا ، إنها الشارة ،

أو قل ، إنها السر الذي يسكن في جوف الوجود !

» نافذة عن هذا الفجر

سيظل هذا الفجر مطويا على أسراره ،
ما دام يلهث غافلا ،
عمّا يدور ،
. .
لكن بعض من دمي لا زال يصرخ عاليا :
– إني أرى ،
في رحم هذا الانتظار ،
ميلاد جديد !

» نافذة للجسارة

يا للجسارة ،

كالهوى ،

تنثال في الأجواء فوحة النعناع ،

تتماوج الآفاق ،

أسراب القطا و القبّرات ،

همس الظلال إلى الظلال ،

و ذرّات من الرمل المشاكس ،

و بعض من هدير الذاكرة ،

يمتد في الأفق البعيد ،

..

ريح و غزلان و سيل جارف ينداح ،

و الأرض الحنونة ،

أمنا الأرض الحنونة ،

تغتسل بالضوء و الأشواق ،

و هذا الصباح بهيج ،

مقبل لا محالة نحونا !

نافذة عن تلك الأرض في دورانها

آه ،

لقد ثملت مآقي الليل بالأوجاع ،

و آه من أنين الروح ،

من لظى النيران تلذعني و تجرح خاطري المفتون ،

و تلك الأرض في دورانها ،

ترأف بي ،

تواعدني ،

و تذكي جذوة الأشواق للآتي البعيد !

. .

تلك الأرض في دورانها ،

مفتونة بالنور ،

ترتدي ثوب النهارات السعيدة ،

و تلك الأرض ،

تلك الأرض في دورانها ،

مسكونة بالوجد ،

ترتوي باللحن ،

تذرع الآفاق في عجل ،

و تضبط الإيقاع !

» نافذة الدنو الحميم

دنت في الجوار ،
أراها ، أراها ،
يشع البياض ،
حميما على الضفتين ،
أراها ،
و في القلب ينهمر الدمع ،
أراها ، أراها ،
و السيل ،
يجرف في شوقه الآن ،
ما قد يكون تراكم من لوعة أو أنين !
هو الاقتراب البهي ،
إذا ،
حنينٌ جارف ،
و شيء من لظى الصبوات ،
و التوق المعتّق ،
في جرار الليل ،
أو ،
هكذا كان !

نافذة عن الخيل و الصهيل

تتوهج اللحظات ،

و الكون البهيج يشارك الأشياء فرحتها ،

و يلهج بالنداء ،

. .

و أطياف من الشوق القديم ،

تلوح في الآفاق ،

فينسكب المدى وعدا و رقصاً و ابتهال ،

و شيء من بذور الزهو ،

تنثرها النسيمات العليلة ،

و خيل تعدوا في براري الحلم ،

تلهب الأشواق ،

خيل ،

لا تكف عن الصهيل !

›› نافذة المحاورات

من نشوة النسمات و العبق اللذيذ ،
من وله المساءات الذي لا ينتهي ،
من ضجيج الآهة الحرّى ،
حاورني الرفيق بألفة :
_ ألا ترى ، أن الطريق طويلة ، و الوقت في سرحانه ، قاتل ؟!
_ ألا ترى ، قل لي ، بربك ، ما ترى ؟!
فوقعت في قلق و ساورني ارتباك جارح ،
و سألت نفسي بعد تردّد :
– أخالجني وله العصافير ،
أم شرود المسافات بعثر ما تبقى من يقين ،
هل هربت من الصحو و الليل و الأقنعة ،
أم تراني غافلته و المدى لا يلين ؟
فأجبتني متيقنا من حين :
– أحيانا تحاورني طموحاتي العفية ،
تفاجئني المسرّات الخجولة ،
بأن النور قادم ،
و تدعوا لي بالانتظار ،
لعل النور قادم !

نافذة عن المسافات القريبة

– عذبني الوقت يا سيدي ،
إن المسافات القريبة تبتعد ، و الليل لا يبدوا له آخر ،
فالليل ، هذا الكائن المسكون بالأسرار ،
يمتد و يمتد ، و يمتد ،
رأيت البرق في عينيه و بعض من هدير الماء ،
فهز الرعد في شفتيه قولا :
– لا تخف يا رفيق المتاهات ، تمهّل قليلا و لا تبتئس ،
بعد حين ستقترب الأمنيات البعيدة ،
هكذا أخبرتني البراري ،
أو هكذا حاورتني حواف الجبال ،

. .

إن الأماني الطيبة بالانتظار ،
هناك ، على بعد ضوء القمر ،
أو لعلها الآن تعزف ترنيمة الاقتراب ، و تصدح مفتونة بالنداء ،
ألا تسمع نداء الكائنات ،
الليل جرح غائر ،
و الليل ،
هذا الليل مفتون بفضح أسرار النهار !

« نافذة عن الفراشات الأنيقة

..

– يا أيها الكاهن في معبده ،

كيف الولوج إلى تراتيل الصباحات الندية ،

هل من طريق للذي يبحث عن سر الطريق ؟!

..

فتردّدت أصداء سيل جارف ،و تصاعد البوح العفي :

– هذا السر مخفي و مطوي بأكمام الزهور ،

و علّ السر ،

كل السر ،

مرسوم على ظهر الفراشات الأنيقة ،

و الفراشات الأنيقة ،

في جحيم الرقص و الألوان تعلن :

– إن هذا الليل هالك !

و اتبع خطاك ،

اتبع خطاك ،

لا تجادل ،

إن الدرب سالك !

نافذة عن قدوم الصباحات

تهب الفراشات ،
مذهولة بانتشار اللهب ،
تهب إلى بقعة الضوء ،
في انهمار بهي ،
..
تدور ،
تدور ،
على هالة من ضياء ،
..
و همس البراحات ،
يمنحنا ومضة من نداء حميم ،
و بعض من الدفء و الانتشاء ،
..
هكذا نبتهج ،
أو هكذا نرتهن لقدوم الصباحات !

>> نافذة عن اللغة المعاندة

ينثال ضوء خافت ،
يسري إلى سمعي ضجيج الانبهار ،
الغزالات الرشيقة ترتقي ربوة قلبي ،
تذّكرت ما قالت ،
كالسحر و هي تشفّفي قفزاتها الجذلى :
– لا تشرد ، و لا تغضب لياليك الجميلة ،
لا وقت للشكوى ،
لا وقت للهذيان ،
دع عنك ما يلوح على المدى ،
فالمسرّات تلوح الآن في دغل قريب ،
فأفقت من ولهي و من هولي ،
و وجدتني أهذي :
– أواه ،
يا لغة تعاندني و تأبى أن تلين ،
كيف الهروب إلى المواعيد القصية ،
و أنت ،
أيها الفجر الملّبد ،
. . لا تبين ؟!

نافذة النشيد الصاعد

صعد النشيد ،

صار وعدا في الفضاءات الحميمة ،

..

صعد النشيد ،

و المدى ترنيمة أخرى ،

و بوح هادر ،

..

صعد النشيد ،

فإذا المسافة بيننا ،

قمرين مكتملين ،

..

صعد النشيد ،

و ذاع في الأنحاء ،

متوترا أو هائما في الريح و الأرجاء ،

..

صعد النشيد ،

على ذؤابات الرمال ،

و هو يرتقي الربوات في جذل ،

..

صعد النشيد ،

على عراجين البلح ،

..

صعد النشيد ،

و هو يذرع الأفق المقابل ،

متحفّزا ، متوترا ،

..

صعد النشيد ،

و ردّدت أرجاء هذا الكون ما باحت به الأعماق :

« لن أنحني ،

لن أنحني ،

فالصباحات البهيجة تقترب ،

إن الصباحات البهيجة ،

تقترب » !

محمد بن يوسف اللويشي

الفهرس

تسيل المآقي ،

متعبة ،

و ينهر الدمع ،

كالسيل في غفلة من نشيج ،

و المدى كله ،

المدى كلّه متخم بالعويل ،

فليل الصحارى طويل ،

طويل ،

و بعض من الرمل ،

في غفوة ،يلذعنا بالمواجع ،

يلسع أوهامنا ،

و يسري حثيثا ،

عبر الدروب الطويلة ،

وغيم المساءات أيضا ،

يعتريه الكدر ،

و يقبل منتشرا ،نحونا ،

لا يداري الفجيعة !

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE